

مخطوط الإبريز في علم التفسير لأبي رأس الناصري العسكري

أ. موصودق خديجة*

تعتبر المخطوطات حوصلة عقول، تلك العقول التي اجتهدت في إخراج علم ربما كان سيضيع - ذلك العلم- في ظلمة الجهل، فوضع في قالب من الكلمات والحروف ليظل محفوظا ما قدر له ذلك، إذ نقل من اللسان إلى الورق مباشرة، وهكذا بقي ذلك العلم مقيدا في أوراق مكتوبة بأيدي طلبة علم إلى أن وصل إلى أناس قدروا عظمة هذه العلوم فأرادوا إخراجها من رفوف الخزانات إلى العقول الباحثة، فكانت من بين تلك المخطوطات التي حظيت بالبحث والدراسة، مخطوط أبي رأس الناصري الموسوم بالإبريز والإكسير في علم التفسير.

ترجمة لصاحب المخطوط:

أ. مولده:

ولد أبي رأس الناصري الراشدي العسكري: يوم(8 صفر 1165هـ الموافق لـ أبريل 1755م) بقلعة بني راشد التاريخية قرب مدينة أم عسكر (معسكر) بين جبل كرسوط بغرب وادي التاغية وجبل وهونت. يقول أبو رأس عن مولده: "ولما ولدت بالموضع المار، حملتني أمي إلى الشيخ الصالح الولي شيخ بعض شيوخه، الشيخ علي بن موسى اللبوخي أحد الصلحاء، فبارك علي وأخبرني عن خوارق وعادات تكون لي مودات من علم وعمل وصلاح وشيخ وطلبة ولفيف ودرس وخطابة وقضاء وتصنيف"¹.

ب. نسبه:

هو الفقيه الحافظ المؤرخ -محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد الناصر بن علي بن عبد العظيم بن معروف بن عبد الله بن عبد الجليل الراشدي العسكري الجزائري، ويرجع نسبه إلى عمرو بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ج. أسرته:

* - قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران.

المجلة الجزائرية للمخطوطات

تتألف عائلة أبي راس من أم تسمى زولة بنت السيد الفرح بن الشيخ السيد، وعمر بن عبد القادر التوجاني.

والده الشيخ أحمد، كان من القراء، اشتهر بالصدق والإصلاح والكرم.

جده الشيخ عبد القادر كان مذهبه في رسم القرآن على طريقة المشاركة، أما إخوته فهم ثلاثة يتوسطهم أبو راس.²

د. لقبه:

اشتهر بلقب "الحافظ" لغزارة علمه وقوة ذاكرته.

هـ. نشأته:

مات والدته منذ صباه ودفنت بسهل متيجة، ثم رحل والده إلى منطقة مجاجة بالشلف وتزوج هناك ونشط في قراءة القرآن وبعد مدة توفي ودفن بأم الدروع، بمقبرة الشيخ أحمد بن عبد الله.³

وبعد وفاة الوالد قام أخوه الأكبر ابن عمر بالتكفل به، ورحل به إلى المغرب الأقصى، وبعد عودته من المغرب ذهب أبو راس إلى منطقة القيطننة بمعسكر التي كانت مركز علمي لدراسة العلوم الشرعية وبعدها إلى مازونة إذ تلقى فيها العلوم الدينية واللغوية مدة ثلاث سنوات ثم عاد إلى قريته القيطننة وتلقى مختلف العلوم على يد عالمها عبد القادر المشرفي.

و. وفاته:

كانت وفاة أبو راس الناصري يوم الخامس عشر من شعبان من سنة (1238هـ-1823م) عن عمر يناهز التسعين سنة، ودفن قرب داره بعقبة بابا علي بمعسكر أين يوجد ضريحه.

حياته العلمية:

بلغ أبو راس الناصري درجة علمية رفيعة لما تركه مع مؤلفات ولما تناقله تلاميذه من العلوم على يديه، فقد اتصف بالدقة والمنهجية في تلقيه للعلوم.

أ. شيوخه:

ب. تتلمذ أبو راس على يد نخبة من مشايخ وعلماء كبار نذكر منهم

المجلة الجزائرية للمخطوطات

- 1- والده أحمد بن أحمد بن الناصري الذي درس على يده القرآن من سورة الانفطار إلى غاية الآية 253 من سورة البقرة.
 - 2- الشيخ علي التلاوي
 - 3- المقرئ منصور الضرير الذي لقنه القرآن الكريم برواية ورش عن نافع وقالون
 - 4- الشيخ ابن الجزري: الذي استفاد منه أحكام القراءة والتجويد.
 - 5- الشيخ المرتضى الزبيدي (1145هـ/1732م)، تلقى عنه أبو راس الفقه الحنفي خلال سفره للحج سنة (1204هـ/1789م)⁴.
- كان هؤلاء بعض مشايخه رغم وجود الكثير منهم.

ت. تلاميذه:

ث. نذكر منهم:

- 1- الشيخ أبو حامد العربي المشرفي صاحب كتاب بهجة الناظر.
- 2- الشيخ محمد المصطفى بن عبد الله بن زرفة الدحاوي الذي كان قاضيا على وهران.
- 3- الشيخ عبد القادر بن السنوسي: هو العلامة السنوسي بن عبد القادر بن السنوسي بن عبد الله بن دحو بن زرفة.
- 4- الشيخ عبد القادر الهزبل: هو محمد بن محمد الهزبل، فهو والد والدي أبو زيد عبد الرحمن التوجيني.
- 5- محمد بن عبد الله سقاط، حفيد عبد القادر المشرفي⁵.

المهام التي تقلدها:

دخل مجال التدريس في بداية حياته العلمية سنة 1166هـ-1752م، كما أسندت له مهمة القضاء، تولاها وهو كاره لها مدة سنتين، لكنه عزل من منصبه فيما بعد بسبب الفتن.

آثاره ومؤلفاته:

وصلت عدد مؤلفات أبو راس ما يقارب المائة وخمسين مؤلف من مختلف العلوم: فقه ومنطق ولغة ونحو وصرف وتوحيد وعقائد وتاريخ وعلمي الفلك والحساب وعلوم القرآن والتفسير، ونذكر منها كتاب الإبريز والإكسير في علم التفسير الذي هو بين أيدينا والسيوف القواطع في شرح الدرر اللوامع.

- علوم الحديث: نذكر منها، مختصر المعلم في شرح مسلم.

- الفقه المالكي: نذكر منه درة عقد الحواشي على جيد شرحي الزرقاني والخرشي.

المجلة الجزائرية للمخطوطات

- علم النحو: نذكر منه عمدة الزهاد في إعراب كل شيء وجئت بلا زاد.
 - علوم اللغة: نذكر منها ضياء القابوس على كتاب القاموس.
 - البلاغة: نذكر منه: عقد الدرر السطيع في تبين أنواع علم البديع.
- وغيرها من المؤلفات التي لا تحصى⁶.

دراسة ووصف المخطوط:

إن مخطوط الإبريز والإكسير هو مخطوط في تفسير القرآن الكريم، فسر فيه صاحبه الفاتحة وأوائل سورة البقرة، إذ توقف عند ثلاثة أرباع الحزب الثاني من الجزء الأول الآية 137. فبدايته: "الحمد لله ملقح الذهب العقيم بنتائج التفسير، ومنقح الجسم السقيم بطيب الهداية والتهيير الذي حارت العقول في كنه ذاته....".

وآخره: "... فسيكفيكمهم الله يا محمد... " و ما بعد ذلك مبتور.

المقياس: 21/14.8

الخط: مغربي

حالة الورق، جيد

الأوراق: 74 صفحة

1- مصادر المؤلف

اعتمد المؤلف على مجموعة من المصادر في تفسيره للقرآن، وقد ذكرها في المقدمة⁷، منها: البحر المحيط، الأنوار، الكشاف،، الجلالين، فقد جاء في قوله عن مصادره:

"أقتبس من تفاسيرهم السائرة.... كالبحر والأنوار والكشاف وابن عطية والجلالين وكشف الكشاف وذوي العبارات الصريحة الواضحة...".

من خلال هذه المقولة يتضح أن أبا راس كان يعتمد على المصادر التي ليس فيها غموض في معاني مفرداتها وجمالها بل الواضحة الدلالة والمعنى، وذلك من أجل تفادي الوقوع في الإبهام، لذلك نجد تفسيره يمتاز بالوضوح والبساطة والبيان، ومن أمثلة ذلك تفسيره لقوله تعالى: " ختم الله على قلوبهم... " أي طبع عليها⁸.

وفي قوله تعالى: " الذين يؤمنون بالغيب... " يصدقون. بما غاب عنهم من البعث والجنة والنار.⁹

المجلة الجزائرية للمخطوطات

وقوله تعالى: "ويقيمون الصلاة... إقامتها: عملها والمواظبة عليها والمحافظة على أركانها.¹⁰

كانت هذه بعض الأمثلة عن بيان ووضوح تفسير أبي راس الناصري

2- منهج وأسلوب المؤلف:

أما منهجه الذي اعتمد عليه في تأليفه هذا الكتاب فهو منهج قائم على الاستقراء، إذ يأتي على المسألة فيحلل أقوال المفسرين فيها نحو: "قال، قيل... فمثلا نجد في حديثه عن مسألة فواتح السور: "لم..م" يتبع الأسلوب التالي: فقول هي أسماء السور، وقيل أسماء الله، وقيل أشياء افتتح الله بها...¹¹، وأيضا نجد يذكر الآية ثم يتطرق إلى الاحتمالات الواردة فيها من أقوال المفسرين نحو: قوله تعالى: "ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل...م" يحتمل كل قطيعة... ويحتمل أن ذاك في قریش.¹²

و أبو راس يتجنب الإطناب الممل والاختصار المخجل كما أشار إلى ذلك في مقدمة كتابه¹³، ويأتي بالأدلة من الأحاديث النبوية الشريفة.

وفي مقدمة المخطوط نجد بعد البسملة والحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، يتحدث عن أهمية التفسير و الهدف من تأليف هذا الكتاب. وعن تاريخ المصحف العثماني والمراحل التي مر بها (كالشكل والنقط... إلخ) منوها في الوقت نفسه بصاحب الفضل في ذلك، كما تطرق أيضا للحديث عن علم التفسير وشروطه والفرق بينه وبين التأويل.

وفي تناوله لمسألة البسملة نجد يستقر أقوال العلماء فيها، ويسردها تبعا، ثم ينتقل للكلام على معاني سورة الفاتحة، فيستعرض بداية لمسمياتها واختلافات العلماء فيها، ثم يشرع في التفسير إلى أن يصل إلى أوائل سورة البقرة عند الربع الثالث من الحزب الثاني، الآية. 137.

3- مناسبة تأليف المخطوط:

إن الهدف من تأليف هذا المخطوط هي في نظر أبي راس الناصري، ذاتية موضوعية، الذاتية أن ينفع نفسه بالعلم كما جاء في المخطوط: "وغاية الغرض من هذا التأليف نفع نفسي...م" وأن ينتفع به غيره من القراء وأيضا مخافة ضياع القرآن في قوله: "...ولكن نية المرء خير من عمله...م".

4 القيمة العلمية للكتاب:

المجلة الجزائرية للمخطوطات

إن الحديث عن القيمة العلمية للمخطوط يدفعنا إلى الكلام على مواضيع ناقشها أبو راس تعكس لنا فكره الواسع و علمه الغزير، نجملها كالتالي:

أ. في علم التفسير:

عند أبي راس هو بيان معنى القرآن من المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم و الصحابة والتابعين، وهذا ما يعكس منهجه في التفسير، والمتمثل في " التفسير بالمأثور"، لأن أغلب العلماء الذين رجع إليهم كانوا من المتقدمين، نذكر منهم: ابن كثير، البيضاوي، الخفاجي، ابن جزري، فهو ينقل أقوالهم فيما تعلق بالآية الكريمة . وإن مناقشته لفكرة التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، كانت عبارة عن محاورة بينه وبين القارئ، فهو يعرض الكلام بقوله: " فإن قلت ... قد ورد التحذير من التفسير بالرأي ... " ¹⁴، ثم يسرد أدلة المعارضين ويرد عليهم بقوله: " فالجواب...".

ومن خلال مناقشة الأدلة يلتمس أن صاحب الكتاب يجعل شروطا لمن أراد التفسير بالرأي، حيث أنه يلزمه بالرجوع لأقوال العلماء لمعرفة وجوه الآية، والإمام بعلوم النحو واللغة وتفسير المتقدمين خصوصا ما تعلق بالمغيبات.

أما مسألة الفرق بين التأويل والتفسير، كانت عبارة عن آراء وأقوال علماء السلف فيها، حيث أوردتها كما ذكروها في كتبهم دونما مناقشتها، وفي هذا نلمس أمانته العلمية في رد الأقوال إلى أصحابها، ذكرا مصادرها ومراجعتها، مسهلا للمطلع على مؤلفه العودة بسهولة إلى مضامها.

ب. في مسألة البسملة:

اتبع المنهج نفسه المتمثل في أسلوب المحاورة نحو: " فإن قلت أنك ابن مسعود"، فيجيب هو بقوله: " قلت... " ¹⁵، ثم يرجح ما يراه الأصوب في نظره، وهو بهذه الطريقة أو بهذا الأسلوب المبني على الحوار في تفسيره للبسملة، إنما يروم من وراء ذلك لفت انتباه القارئ إلى طبيعة تفسيره، على اعتبار أن البسملة هي فاتحة كل سورة وعليها يبنى أي كتاب الله.

ج. في حديثه عن سورة أم القرآن الفاتحة:

المجلة الجزائرية للمخطوطات

في هذه السورة نجد أبا راس يذكر مسمياتها، ثم يتحدث . وبتكرير . عن مسألة الحمد والشكر إذ ناقشها بأسلوب فيه مسحة صوفية، وهذا ما يعكس ميله للتصوف، والأمر نفسه نلمسه في سورة البقرة عند بيانه لمعاني الآيات المتعلقة بالكفر والإيمان، و اليقين، وكل ما له علاقة بذلك وخصوصا مسألة الغيبات.

د . في سورة البقرة:

تطرق لأقوال العلماء في كل مسألة تتعلق بها، كفواتح السور، وانتهج الأسلوب ذاته، أسلوب المحاورة "فإن قلت...قلت..."، "قال... قيل..."، "فإن قلت... فالجواب... وهكذا.

إن ما يميز تفسيره المنهج، استعماله لمصطلحات تكون كوقفات عند بيان معاني الآيات منها:

1. فائدة: يذكر فيها معلومة أو ترجمة لعالم أو فكرة معينة

2. تنبيه: ينبه لأمر ربما نكون في غفلة عنها نحو: " تنبيه، هذه الآية تقتضي أن خلق السماء..."، " تنبيه،

كل ما ذكر في هذه السورة..."، " تنبيه، قرأ الكسائي وقالون وأبو عمر هو..."

3. إعراب: يتطرق لإعراب الجملة، نحو: "إعراب هذه الحروف يختلف..."

4 الاحتمال: يذكر المسألة ثم يذكر الاحتمالات المتعلقة بها.

وما يميز هذا المخطوط أيضا تنوع علومه، فصاحب الكتاب بالإضافة للتفسير يتكلم على علم القراءات بذكر أوجه قراءات الآية، استدلاله بالشعر، وبعلم البلاغة كالجواز والاستعارة والبيان، نحو: " والله در من قال:

وا عجب للمرء مع علمه أن ليالي عمره سارية¹⁶

وعلى الجملة، فإن المخطوط لم يكن كتاب نقل وسرد لأقوال وأراء علماء سبقوه في هذا الميدان، بل كانت له جهود قيمة وإضافات جديدة تنضاف إلى مجال التفسير، وهذا الجديد يتعلق بالمنهجية العلمية والطريقة التعليمية التي سلكها في تفسيره، إذ تجعل القارئ يتعد عن الممل و السهو، فأسلوبه الحوارى قريب من العقل والنفس تستشعر من خلاله وكأنك تحاور المؤلف أو يحاورك مباشرة، يضاف إلى ذلك تركيزه على اللغة باعتبارها الآلة التي يفهم بها كتاب الله، فهو يعرب الآيات ويذكر آراء النحويين واللغويين واختلافاتهم فيها، وهو أيضا يستعين بالشعر في الشرح والتوضيح، وكثيرا ما يتطرق إلى الأمور البلاغية المتعلقة بالبيان والبديع والمعاني المتعلقة بسور القرآن وآياته.

المجلة الجزائرية للمخطوطات

فمخطوط الإكسير إضافة نوعية في تفسير القرآن الكريم على اعتبار أنه زبدة تفاسير التي سبقته، وما يحمله من أفكار وآراء جديدة تحسب لأبي راس عالم عصره وزمانه.

الهوامش:

1. محمد بوركية: رسالة دكتوراه، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار للشيخ أبي راس الناصري المعسكري، دراسة وتحقيق، 1428هـ-2008م، ص،03
2. محمد بوركية: نفس المرجع، ص،4.
3. المرجع نفسه، ص،5.
4. محمد بوركية، نفس المرجع، ص، 7/6.
5. المرجع نفسه، ص، 20/17.
6. المرجع السابق، ص، 22/20.
7. مخطوط الإبريز و الإكسير في علم التفسير لأبي راس الناصري، ص،03
8. مخطوط الأبريز، ص،15
9. مخطوط الإكسير، ص، 13.
10. مخطوط الإكسير، ص، 14.
11. مخطوط الإكسير، ص، 12.
12. مخطوط الإكسير، ص،
13. مخطوط الإبريز، ص، 05
14. مخطوط الإبريز، ص، 04.
15. مخطوط الإبريز، ص، 08
16. مخطوط الإبريز، ص، 35